شعـــــريّة الأسطـــــورة عند أدونيس
- قراءة في كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل-

The mythical poetic of Adonis
-reading in the book of transformation and migration in the regions of day and night-

سعيد بكير*

تاريخ تقديم البحث **2018/05/11** تاريخ القبول **2018/11/12**

ملخص

أروم في مداخلتي: "شعـــــرية الأسطـــــورة عند أدونيس، قراءة في كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل"، أن أبين دور الأسطورة في صنع شعريّة الشعر العربي الحديث والمعاصر عامّة، وشعريةّ شعر أدونيس خاصّة، بحيث كانت منبعا مهما يستلهم منه الشعراء صورهم وأخيلتهم.

وفي هذه الورقة البحثية، سأحاول تبيان أهميّة حضور الأسطورة في ديوان:"كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل"، ذلك أنّها ميزته بلغة شعرية متميزة صنعت فرادته، وشكّلت لكلماته حرارة – على حد قول مصطفى ناصف- وكانت نوعا من أنواع الرموز، التي استند إليها الشاعر.

الكلمات الدالة: الشعرية، الأسطورة، شعرية الاسطورة، أدونيس، ديوان التحولات....

Abstract :

In my research -**The mythical poetry of Adonis**: reading in the book of transformation and migration in the regions of day and night- I would like to demonstrate the role of myth in the making of Arabic poetic; And the poetic of Adonis. So that it was an important source of inspiration for poets.

In this paper; I want to show the importance of myth in the book of Transformations. It is distinguished by a distinctive poetic language that has made its uniqueness. His words formed heat and were some kind of symbol on which the poet was based.

Keyboard: peotic, myth, poetic of myth; Adonis;.....

*قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الأداب والفنون ،جامعة الشلف، الجزائر .

مقدمة:

لا شك أنّ عودة الشاعر العربي المعاصر إلى المخزون الثقافي للأمّة وأساطيرها، من أولى القضايا التي تعرض لها النقد الحديث، فكثيراً ما اقترن الشعر الحديث عامّة وشعر أدونيس خاصّة بالأسطورة، لأنّه وجد فيها الأفق الرحب والحقل الخصب، لاحتضان همومه ومآسيه، في عصر الحضارة الخانقة للحسّ، المملّية للجفاف والتعقيد، وفي عصر أصبح الشعر فيه والقصيدة معاً ‹‹مغامرة مع الشكل ورغبةً في اقتناص التغيّر المستمر››[1]، ومن أجل هذا التغيير، سعى أدونيس إلى استعمال الرمز والأسطورة كوسيلة للإبداع والتجديد في اللغة، مواصلاً طريق شعراء قبله، مارسوا الفعل نفسه أمثال: صلاح عبد الصبور – بدر شاكر السيّاب، خليل حاوي ، يوسف الخال ...الخ.

ويبدو أنّ حضور الأسطورة في شعر أدونيس، جاء نتيجة اطّلاعه المبكر على الثقافة الغربية والحضارة الإغريقية وحضارة وادي النيل وبابل فاستأنس بدفئها، ووضعها ملجأً لأسراره الدينية والمعرفية، كما يظهر أنّه تعرف عليها جيّدا، في مختلف أبعادها: الاجتماعية، النفسية والأيدلوجية؛ وسرّ العودة إليها جليّ، لأنّه يعتبرها ضربا من الرؤيا، ونوعا من اللغة؛ وهذا ما جعل نصوصه تتميز بالضبابية والغموض، اللذين يفرضان على القارئ بذل جهد في قراءة هذه الأساطير في سياقاتها الشعريّة الجديدة، لأنّها تفرغ إفراغا من دلالتها الأصلية؛ وفي هذا السياق، سأحاول – وفي حدود معرفتي – الوقوف عند شعرية الرمز الأسطوري وجمالياته استعماله في شعر أدونيس.

إنّ لجوء الشاعر المعاصر إلى هذا النّوع من التعبير بالرمز إنّما هو نوع من الهروب يمارسه، حتىّ يعبّر عن الفوضى التي أصبحت تسود عالمه، فيحاول الرجوع إلى العالم البدائي باحثا عن الصفاء والطهر عن طريق الأسطورة، التي كثيرا ما اقترنت بالشعوب الأولى وهذا ما بيّنه الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات، وربما اختناق الشاعر، وبحثه عن الجدّة في الشعر، هو ما دفع به إلى الأسطورة، لأنّها تعتبر المخزون الأول لتراث الأمة وأساس الرموز....وهي وليدة الفكر البشري، الذي يسعى إلى التعبير عن رغبته في الالتحام بما له من تصورات متعاليّة[2] ولأنّها

---

[1] صبري حافظ، استشراف الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة، 1985 ص16.

[2] انظر مجلّة ذاكرة الآداب ، العدد 08، عدد خاص بالسّياب، من الحلم إلى الأسطورة، قراءة في المتخيّل الرمزي عند السياب ماجد السامرائي، 1996م، ص48.

كذلك«أقدم صحبة لنفوسنا .... وهي الحبيب الأول الحميم»[1]، وفي هذا السياق يمكن طرح الإشكال الآتي:

- كيف استثمر أدونيس الأسطورة في بناء لغته الشعريّة؟.
- وماهي الدلالات الجديدة التي حملتها لشعره(أثرها)؟

وللاجابة عن هذه الإشكالية ، رسمت الخطة الآتية:

- مقدمة
- الأسطورة معين مهمّ للشعر.
- أساطير ديوان التحولات – نقد وتحليل-.
- خاتمة.

الأسطورة معين مهمّ للشعر عند أدونيس:

لقد وظّف أدونيس الرمز الأسطوري، استجابة لهمومه وأحزانه وقلقه من المستقبل وجعله دعامة لخطابه الشعري الجديد، حتى يوسّع به دلالاته، ويفتحه على عوالم الاحتمال، فتغدو القصيدة بؤرة لتفاعل الرموز وتدخل في سياق العمل الأدبي المحتمل، فتصنع نصا منفتحا على التأويل والقراءة،كما أنّها تُشحن بإيحاءات جديدة، تنقل الأحداث الأسطورية إلى واقع الشاعر، ويتخذها حلولا لنفسه وأوضاعه، والقارئ هنا «يكتشف لحظة أو لحظات حركته (الخطاب الشعري)، ليقسم في ثناياها رؤية جديدة للبعد الآخر الذي تبشر به الكتابة»[2]

إنّ أدونيس يعتبر "الرمز والأسطورة نقطة التقاء بين الظاهر والباطن، المرئي واللامرئي، وهما إذن نقطة إشعاع، مركز حركي ينتشر في الاتجاهات جميعا، وهما في الوقت نفسه يعبران عن مستويات مختلفة من الواقع بكليته، في هذا ما يتيح للشاعر لا أنْ يكتشف ما لا نعرفه وحسب، وإنما أن يعيد كذلك تكوين ما نعرفه، بحيث يربطه بحركة اللامعروف، وبما لا نهاية

---

[1] مصطفى ناصف، النقد العربي نحو نظرية ثانية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس 2000م، ص 148.

[2] إلياس خوري، دراسات في نقد الشعر، دار ابن رشد، بيروت، لبنان،ط1، 1979 ص 62.

له، وفي هذا المستوى يكون الشعر معرفة»[1] ، وبناء على هذا الموقف يمكن القول بأنّ الشاعر يعمل في منحنيين اثنين هما:

-اكتشاف اللامعروف (المخفي) من الأساطير وإبرازه.

-إعادة هيكل المعروف باللامعروف وفق مقتضيات العصر في شكل جديد.

ومن هنا جاء استعمال أدونيس للأسطورة وفق ثلاثة طرق:[2]

1- نقل الأسطورة بحرفيتها ودون تغير في بنيتها.

2- استخدام الأسطورة محوّرة بما يتفق وأغراض الشاعر.

3- ابتداع أسطورة جديدة، يمزج في حكايتها الخارقة الظواهر الطبيعية مع عالم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا).

وفي نفس السياق أشار الدكتور علي عشري زايد إلى طرق أخرى نهل الشاعر المعاصر منها أساطيره وهي [3] :

1- اللجوء إلى الأساطير الأجنبية (الإغريقية، البابلية، الفينيقية).

2- استمداد بعض الملامح الأسطورية من المصادر التراثية الأخرى كالمصدر الديني والفلكلوري (إرم ذات العماد، يأجوج ومأجوج، السندباد ، سيف بن ذي يزن).

3- إضفاء ملامح أسطورية على بعض الشخصيات التراثية غير الأسطورية، بحيث يجعلون منها شخصيات أسطورية.

لقد استعان أدونيس في مسيرته الشعرية الطويلة، بمجموعة هائلة من الأساطير، جعلها رمزا يبعث به المعنى عبر شخصياته المختارة، منها :

---

[1] أدونيس، الصوفية والسوريالية، دار الساقي، بيروت، لبنان ، ط1، 1992ص 156-157.

[2] عدنان حسين قاسم، الإبداع ومصادرة الثقافية عند أدونيس، الدار العربية للنشر والتوزيع، د ط، د ت، ص 155.

[3] علي عشرى زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 2006 ص 183-184.

- **أدونيس*** **أو (تموز)** :وهي من الأساطير التي كثر استعمالها في شعر أدونيس، ويعنى به الإله(إله الخصب) أو السيد ،وهو اسم أطلق على الشاعر من طرف زعيم الحزب القومي السوري أنطون سعادة؛ ولكن أدونيس يروي قصة أخرى عن اسمه هذا، الذي اختاره لنفسه لنشر أعماله، وهذا كما ذكر علي الشرع في كتابه"بنية القصيدة القصيرة في شعر أدونيس" في الصفحة الثامنة، ونسبة إلى تموز،أطلقت تسمية (الشعراء التموزيون)، ولقد وظّف هذا الرمز الأسطوري للدلالة على الخصب والنماء والميلاد والبداية كما أنّه رمز للصراع كما في قول أدونيس :[1]

ادخُل أدونيس في الرّمز،

لك دورتان طبيعيتان – نباتية وكوكبيّة

ادخل إذاً في العقل والقلبْ

(.....)

لا أظن أنّ جسدي عشتارَ و أدونيس سيموتان، سوف يدخلان

في حلمٍ وتنطبق عليهما أهدابُ الأرض.

يظهر البعد الإيحائي لهذه الأسطورة، في إظهار الصراع القائم بين الموت والحياة«بين ما تحت الأرض وما فوقها بين الطبيعة والألوهة، هنا يكمن رمز الحياة وسرّها، حين يعيش

* تقول الأسطورة : " كان أدونيس يقضي نصف العام في مملكة الموتى، في صحبة برسيفوني، ويقضي نصفه الآخر على الأرض في صحبة أفروديت، لكن برسيفوني أوعَزت إلى إله الحرب آريس أن يقتله حتى تحتفظ بروحه خالصة لها في عالم الموتى، وتخفّى آريس في هيئة خنزير بري استطاع أن يمزق جسد أدونيس، وما إن خضّبت دماء الإله المقتول الأرض حتى انبثقت منها زهور تسمى شقائق النعمان، وقد ارتبطت أسطورة أدونيس بمنطقة شرق البحر المتوسط، حيث كان يعبد في بابلANE Mone وسوريا، ثم انتقلت عبادته إلى اليونان في القرن السابع قبل الميلاد، ارتبطت الأسطورة بدورة الفصول وتجدد خصب الأرض وحياة النبات في كل عام". انظر الإبداع ومصادرة الثقافية عند أدونيس، ص138،عن جيمس فريزر، الغصن الذهبي، ص 376-380 وكذلك في كتاب "أدونيس أو تموز" لجيمس فريزر، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط03 1982.

[1] أدونيس، أوّل الجسد آخر البحر، ص 62-63.

أدونيس بين الحياة الأرضية والحياة السماويّة تتجاذبانه طوال الدهر»[1]، ويبدو أنّ هذا التوظيف جاء مطابقا لمعنى الأسطورة الأصلي، عندما تختصم عليه عشتار وبرسيفوني.

ويقول أيضا:[2]

ألف

آدم أدونيس

أنتِ رؤياي : حدّثيني عن أشيائها

قبل أن تكون

الألف الهوية في نسب الجسد،–

في كل ألفٍ طريقٌ إلى

في كل ألف جسدٌ آخر يبدأ من الياء.

في هذا المقطع يستعمل الشاعر من الرموز ما يدل على البداية (الألف،آدم أدونيس)،رغبة منه في إضافة دلالة جديدة للتركيب، وهي دلالة الولادة والانبعاث المتجدد فيكون الألف بداية ورمزا للهوية، وتتبعه الياء – في كل مرّة – رامزة للجسد.

لقد استعان أدونيس بأسطورة (تموز) ونوّع في توظيفها في نصه الشعري، مما أضفى على لغته بعدا جماليا فريدا، نشأ من المعاني الجديدة المتولّدة في كل استعمال، وهذه خاصيّة قلما تحكم فيها الشعراء، نتيجة إغراقهم وتكثيفهم للأساطير، مما يعود بالغموض والإبهام على القصيدة.

---

[1] رجاء أبو علي، الأسطورة في شعر أدونيس، دار التكوين، ط01، 2009، دمشق، ص152.

[2] أدونيس، أوّل الجسد آخر البحر، ص 177.

كما طعّم أدونيس قصائده برمز أسطوري آخر يرمز إلى الانبعاث من الرماد وهو **الفنيق**، حيث يقول:[1]

للموتِ، يا فنيقُ، في شبابنا

للموتِ في حياتنَا

منابعٌ، بيادرٌ

لي رياحَ وحدةٍ ،

ولا صدى القبور في خطورهِ.

(.....)

خبَا وعاد وهجهُ

من الرماد والدجّى

تأجَّجَا .

وها، لهُ أجنحةٌ بعدد الزهورِ في بلادنا.

يعود توظيفه لهذه الأسطورة، إلى كونه يريد إبراز دلالة البعث من الرماد وأنّ الصراع بين الموت والحياة قائم، ولابد لقوى الخير أن تنتصر،فالموت في معجمه ليس نهاية وإنما هو بداية وعودة قوية لعهد جديد،ولذلك كان أدونيس «يعيد تشكيل رموز الماضي لتكون أحد أبعاد الصيرورة ،التي هي بعد آخر ديناميكي لكينونة الشاعر المتوغل في لحظاته الرهيبة»[2]

---

[1] أدونيس، أوراق في الريح، دار الآداب، بيروت، طبعة جديدة، 1988 ص 51.

[2] عبد العزيز بومسهولي، الشعر والتأويل، أفريقيا الشرق، بيروت ، لبنان، 1998ص 38.

وهناك مجموعة أخرى من الأساطير لجأ إليها الشاعر لبناء دلالات جديدة*في شعره مثل: **عشتار أوزيريس، أوليس، إيزيس، سيزيف، أورفيوس، وايكار.... إلخ**، ولكنه في محطات أخرى من تجربته الشعرية اكتفى بملمح الأسطورة وروحها، ولم يوظّفها حرفيا؛ فذكر مثلا: "النار، الرماد، الاحتراق " دون ذكره للفنيق،كما أنّه عمد إلى خلق أساطير مبتكرة وجديدة من شخصيات تراثية مثل: (أبو نواس ، صقر قريش).

ويظهر أنّ توظيف الأسطورة في شعر أدونيس، من أهمّ دعائم لغته الشعرية، نظرا للجمال الإضافي الذي تكسبه للصورة الشعرية، فتصبح القصيدة، حقلا ثريا بالدلالات والإيحاءات البعيدة؛ التي يبغيها الشاعر في إبراز عمق إحساسه وشعوره، مثل ما يقول في هذا المقطع من قصيدة «أحلم وأطيع آية الشمس» :[1]

إيزيسُ / القاهرة،-

أكتبكِ فجرًا يوقظُ النَّائمةَ أثينا،

أكتبك إكسيرا ضدَّ زمنٍ لا يهدأُ سعالُه،زمنٍ تحزّزهُ خناجرُ الفَتْكِ.

واللغةُ حوله حِراب،

إنّ قارئ هذا المقطع، يجده قد تضمّن مجموعة من الدلالات الجديدة وهي :

- قدرة البعث والميلاد المنبعثة من الإله أدونيس (تموز)، الذي يخاطب إيزيس
- النور بعد الليل، الذي ينبئ بولادة جديدة.

---

* دلالاته الجديدة أقصد بها : دلالات الأساطير التي تنضاف إلى شعره مثل : عشتار توضح الروح العالية والقتالية التي امتلكتها في الدفاع عن من تحب.- ايكار: توضح أسطورة الإنسان الذي يموت بالغرور ولا يعرف حدّه وقدره - سيزيف : يرمز للعذاب المستمر والإنسان العبثي الذي يعاود نفس الفعل-الخضر: يدل على البعث والميلاد _ جلجامش:يدل على الشخص الباحث عن الخلود _ ايزيس: تدل على الأنثى أو الأرض _ الهدهد:تدل على معرفته لما لا يعرفه سليمان .

[1] أدونيس، أبجدية ثانية، طبعة جديدة خاصة، سوريا، 2008 ص 33.

- البداية المنبعثة مع نور الفجر، وهي إعلان عن زمن جديد.

- دلالة الانتشار المرافقة للنور، التي تتعدى الأقطار والأزمان.

بناءً على هذا الملمح الأسطوري، تخرج القصيدة الأدونيسية من رتابة اللفظ العتيق وتدخل في فضاء الإبداع والابتكار، وسحر اللغة المتجدد، فحضور إيزيس هنا مثلا، يضفي بعدا فنيّا جديدا لهذه القصيدة ألا وهو القوة والخصب والنماء.

ومن الأساطير التي برزت في شعره، وأظهرت تمرّده ورفضه للسائد، أسطورة "**سزيف**"، فكتب يقول في قصيدة ‹‹إلى سزيف››[1]:

أقسمتُ أن أكتب فوقَ الماءِ

أقسمت أنْ أحملَ مع سزيف.

صخرتة الصّماء.

(.....)

أقسمتُ أن أعيشَ مع سزيف.

ترمز أسطورة "سزيف" للعذاب المتواصل، وللبطل العبثي، الذي يقوم بمهمة لا جدوى منها، حيث نقل الشاعر هذه الدلالة إلى شعره، وأسقطها على نفسه، حتى يصوّر لنا معاناته في هذا الزمن المنكسر، الذي يكرر نفسه، وقد استعمل هذه الأسطورة بحرفيتها ومعناها ولم يحوّرها.

إنّ غالبية القصائد الشعريّة لأدونيس، تغذّت من مخزون الأساطير، وعرفت (الخضر، المسيح، إرم ذات العماد، عشتار، الفنيق، مهيار، سيزيف، الحسين، عليّ، جلجامش....)، ويرجع سرّ هذا الارتباط -في نظري- أساسا إلى سعي الشاعر إلى التغيّير والتجديد عن طريق الأسطورة، مستعينا في ذلك ببراءة وسذاجة ألفاظها، وثراء لغتها، لذلك يصلح أن نقول:إنّ

---

[1] أدونيس، أغاني مهيار الدمشقي، بدايات للطباعة والنشر، طبعة جديدة خاصّة، سوريا، 2006ص 109.

شعريّة الرمز والأسطورة عند أدونيس هي "شعريّةتحوّل" بالمتلقي من عالم الحقيقية إلى عالم الخيال، الذي يحمل في طياته الحرية والحلم والمتناقضات«فالأسطورة لم يستخدمها شعراؤنا بالمعنى التاريخي، بل بمعناها الحضاري وأعطوها ملامح العصر، وهذا هو الاستخدام الفنّي للأسطورة»[1]، فجاءت القصائد المحمّلة بها تنبض بالبعد الإنساني الكوني، وظهرت شعريّتها بدلالاتها المضافة.

- الأسطورة في "كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل":نقد وتحليل:

انطلاقًا من المفهوم الجديد للشّعرية عند أدونيس، و من عشقه للجانب الأسطوري الوثني في الشعر ارتأيت مقاربة أحد نصوصه الإبداعية وهو:**"كتاب التحولات والهجرة في أقاليم الليل والنهار"**، من جانب الأسطورة التي تعدّ وسيلة للإبداع والتجديد في اللغة؛ فبالكلمات يصنع بعض الشعراء الينابيع ولا يصنع بعضهم الآخر غير الوحل؛ ومن هنا فسرّ شعرية الأسطورة ليس في إعادتها، وإنّما في بعث الحياة فيها من جديد، وجعلها ناطقة بفعل اللغة المتوهج، حيث نوّع أدونيس في استخدامه لها في هذا الديوان، واستثمرها لتوليد دلالات جديدة مستفيدا من معانيها الأصلية، فتفاعلت مشاعر ورؤى الشاعر مع دلالات الأساطير وتمحض عنها مجموعة من القصائد، التي حملت همومه وتطلعاته نحو المستقبل، فحقق بالأسطورة ما لم يستطع تحقيقه بالصور الحقيقية، ومن الأساطير التي وظفها ما يأتي:

صفحة	الأسطورة	دلالتها
9	زهرة الكيمياء	وهي قرينة لأسطورة "جلجامش" حيث تشير إلى زهرة الخلود وهَوَسُ البحث عن سر الأبديّة (الشخص الباحث عن الخلود).
22	إيكار	عدم وصول الإنسان المغرور إلى نتيجة

[1] يوسف حلاوي، الأسطورة في الشعر العربي المعاصر، دار الآداب، ط01، 1994، بيروت، ص 346.

23	صقر قريش	شخصية تاريخية، وهو عبد الرحمن الداخل الذي بنى الحضارة العربية في الأندلس، وقد تم توظيف هذه الأسطورة في قصدتين: – قصيدة الصقر. – قصيدة تحولات الصقر.
29	السّندباد	المغامرة وارتياد الآفاق الغريبة والعوالم المجهولة، مع العودة بالانتصار والسلامة (الترحال).
52	الخضر	شخصية تاريخية دينية، تدل على البعث والميلاد.
61	أبو تمام أبو نوّاس	شاعرين عباسيين، توظيفهما يدل على التمرد والتجديد.
73	الخضر وسيدنا عيسى عليه السلام	-شخصيتين دينيتين، توظيفهما يدل على البعث والميلاد -المعاناة والصلب والمكابدة والخلاص
77 **86**	جيرون، ليبير وليبيرا، وفالوس	اسم باب شرقي لجامع دمشق، واسع وهو من محاسن دمشق ومعالمها، وقد ذكرته العرب في أشعارها[1].
109	شهريار	ملك عادل في حكاية ألف ليلة وليلة، خانته زوجته، قتل كل النساء اللاتي تزوج بهنّ إلا شهرزاد التي أحبها ولم يقتلها (صاحبة القصص).
117	الاسكندر	اسم يوناني يدل على الشخصية المدافعة (محرر البلاد).
125	أورفيوس	منشد إغريقي يدل على الشافي بالغناء والعزف (المذهب الأورفي).
147	مهيار	رمز الشعب والتحدي، يشير إلى إرادة الحياة لدى الأمة التي تعرضت للانكسار، وإلى الموت الذي يحمل بوادر الأمل والتجدد

[1] محمد يسار عابدين، أثر الميثولوجيا الدمشقية في نشأة المدينة ونموها، ص 4.www.paleamont.gav.sy

149	ألعازر	تشير إلى البعث، وهي حادثة تاريخية متمثلة في معجزة من معجزات المسيح.

وعلى العموم فإنّ لتوظيف الأسطورة في هذا الديوان أثر بارز في اصطباغ قصائده بلغة شعرية راقية تولّدت عن إسقاط أدونيس لمضامين هذه الأساطير المتنوعة المشارب(عربية، إغريقية، يونانية، عبرية) على حياته الشخصية، وحياة الأمّة العربية ككل، التي تعيش جوا دراميا حزينا نتيجة فساد أوضاعها، ومن هذه الأساطير: "صقر قريش"، التي أخذت مساحة واسعة من الديوان، وجاء توظيفها في قصيدتين:

- قصيدة الصقر[1].
- قصيدة تحولات الصقر.

استهلّ أدونيس قصيدة "الصقر" بكلمة لعبد الرحمن الداخل، صقر قريش، الذي بنى حضارة عريقة في الأندلس، والقصيدة تشتمل على محاور عدة تتفاعل فيما بينها، في المحور الأول نجد الصقر في واقعه المتردي"[2]، حيث يقول:

هَدَأتْ فوق وجهي بين الفريسة والفارس والرَّماحُ

جَسَدي يتدحرجُ والموت حوذيّهُ والريَّاحُ

جثث تتدلىّ ومرثيةٌ-

وكأن النهار[3].

ففي هذه الأسطر الشعرية من المحور الأول، ينقل لنا أدونيس معاناة الصقر وخوفه من الموت في انتقاله من المشرق (دمشق) إلى المغرب (الأندلس) لبناء الحضارة، محاولة منه لنقل

---

[1] قصيدة الصقر في الصفحة 23 من الديوان.

[2] يوسف حلاوي، الأسطورة في الشعر العربي المعاصر، دار الآداب، ط 1ن لبنان، 1994، ص 258.

[3] أدونيس، كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل، دار الآداب، طبعة جديدة، لبنان، 1988، ص 25.

العرب من التخلف إلى التقدم، وهذه في الحقيقة حالة الشاعر (الذات)، الذي كانت له نفس الرحلة باحثا عن وطن جديد يطور فيه أفكاره وينشر فيه شعره، وما فتئ أن انتقل في قصيدته إلى القسم الثاني، الذي يمثل القوة والانتصار، "فهذا الصقر إذن يحمل رسالة حضارية معاصرة"[1] لا تتوقف(الصيرورة).

والمتتبع للقصيدة، يجد أنّ أدونيس استثمر هذه الحادثة التاريخية، لتوضيح حالة عاشها وهي رحلته من دمشق إلى الغرب، التي تشبه رحلة عبد الرحمن الداخل، المبتدئة بالمعاناة والخوف والمنتهيّة بالنجاح والنصر، وفي هذه القصيدة مزج للشخصيتين العبقريتين.

وفي هذا المقام، لا يفوتنا أن نذكر أنّ الشاعر أضاف للأسطورة، سمات ليست فيها منها:

1. إشادته بالشعر، فالشعر وحده قادر على تحقيق النقلة الحضارية لدى الشاعر[2].
2. النزعة الصوفية التي سيطرت على بعض أبيات القصيدة.

وحول هذه النزعة يقول:

"السماء انفتحت،

صار التّراب

كتبًا، والله في كل كتابْ

ساهرٌ

لم يبقى في وجهي صخر نائم، ولم يبقى في عيني سرابْ،

علامة تأتي من الفراتْ:

أنا هو السّاكنْ في طوقِكِ يا حمامه"[3]

---

[1] يوسف حلاوي، الأسطورة في الشعر العربي المعاصر، ص 262.

[2] المرجع نفسه، ص 264.

[3] أدونيس، كتاب التحولات والهجرة، ص 31.

وهذه النزعة عُرِفَ بها الشاعر لقوله: "الحدس الصوفي الشعري طريقة حياة وطريقة معرفة في آن، بهذا الحدس نتصل بالحقائق الجوهرية، وبه نشعر أننا أحرار قادرون بلا نهاية، إنه يرفع الإنسان إلى ما فوق الإنسان ونشعر بالارتفاع إلى ما فوق الإنسان، إننا نتخطى الزمن وقيوده"[1]، ومن هنا نرى أن الشاعر المعاصر لم يكتف باستثمار الأسطورة دون تغيير، ولكن غيّرها وطوّعها لنفسه وزادها إضافات صنعت شعريتها، وأكسبتها دلالات إضافية، وهذا ما نلتمسه في توظيف أسطورة "صقر قريش" عندما أضاف لها سمات "مهيار" الأساسية: التغيير والتحول والصيرورة"[2] فمن خلال هذا المزج تنبثق روعة التشكيل الفني للقصيدة، وتتعالق الدلالات.

وأما القصيدة الثانية التي وظف فيها أسطورة "صقر قريش" فهي قصيدة "تحولات الصقر"، تقع في الصفحة الخامسة والثلاثين من الديوان، تتكون من أربعة فصول: فصل الدمع، فصل الصعود إلى أبراج الموت فصل الصورة القديمة، فصل الأشجار، وفيها أعاد الشاعر نفس الأسطورة، لغرض شعري آخر، ولكن استخدم وسائل مغايرة.

كما استخدم أدونيس أساطير أخرى ثانوية، جاءت مبعثرة في الديوان، مثل أسطورة السندباد حيث يقول:

صاعد لبروج التحوّل حيث الفجيعة.

حيث يتساقط الرّمادُ

حيث يستيقظ النشيجُ وينطفئ السندبادُ[3].

---

[1] أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط 1، 1971ن لبنان، ص 131-132.

[2] يوسف حلاوي، مرجع سابق ص 267.

[3] أدونيس، ديوان كتاب التحولات والهجرة،...، ص 29.

إنّ الشاعر في استعماله لهذه الأسطورة العربية القديمة، يشير إلى أنّ صقر قريش (الذات) لقي معاناة كثيرة للوصول إلى الأندلس، فحل وارتحل وغامر حتى تجاوز السّندباد في مواجهته للمجهول والصعاب، وفي هذا التوظيف محافظة تامة على معنى الأسطورة الأصلي.

وإذا أمعنا النظر في نصوص الشاعر، نجدها محمّلة بالنص الديني، ولا تكاد أي قصيدة تخلو منه، رغم أنّه طلب الابتعاد عن سلطته، ومن صور توظيفه، قوله[1]:

أرى رجلاً صالحاً يركب على جرادةٍ ويلبسُ خفاً أحمرْ

ويقول: الدنيا سحرٌ سحرْ...

-(أينَ أشاهدُ صديقَنا الخضرُ؟)

-(عند الصخرةِ في كوّةٍ على البحرِ، وترى أثرَ جنَاحيه في الطين)

ورأيتُ الخضرَ يُدخِل جناحيه تحت المدينةِ ويقتلعها....

المدينة !

إن ركون الشاعر إلى قلب دلالات النص الديني واستحضاره لشخصياته، مثالٌ حي على وجود بقيةٍ من رواسب التراث في جنبه، رغم قوله بالانسلاخ عنه وعن سلطة الثابت، ففي الصورة الدينية الموظّفة أعلاه للرجل الصالح(الخضر)، المعلَم لَدُنيا، والمشاهد الأخرى التي وظّفها أيضا، مثل حادثة "المعراج" في قصيدته "مرآة لحظة ما" وشخصية "علي كرم الله وجهه"

---

[1] المصدر نفسه، ص 122.

في "قضية الخلق"، وشخصية آدم عليه السلام ....وغيرها من المشاهد، دليل بارز على حاجة أدونيس و الشاعر المعاصر عامّة إلى التراث .

كما أخذت قصائد أدونيس نصيبها من ألحان وأنغام **أورفيوس*** الحزينة، واستعملها لتغطية الفراغ والغربة التي يعيشها الشاعر العربي، وتروي هذه الأسطورة بأنّه«لم يكن لبراعة أورفيوس في العزف نهاية ... كان بموسيقاه وغنائه قادر على تحقيق المعجزات، لم يستطع كائن من الكائنات على وجه الأرض أن يقاوم قوة تأثيره، عندما يغني ويعزف على قيثارته،تتمايل نباتات الغابة طرباً.....تتبعه الحيوانات الضارية في خضوع.....»[1]، ويمكن اختصار دلالات هذه الأسطورة في شعره كالآتي :

- دلالة الوحدة والانعزال والحزن، نتيجة عدم تمام أحلامه.
- فقدان الحرية تسببه النفس أحياناً.
- فقدان الحب، والعيش في فراغ، وهذه حال العربي.
- النغم الحزين غربة يترجمها الوتر، وتأثيرها بالغ في النفوس.

وقد ذُكرت هذه الأسطورة في كثير من القصائد منها:"أورفيوس" في ديوان "أغاني مهيار الدمشقي" و"مرآة لأورفيوس"في ديوان "المسرح والمرايا" و"فصل الحجر" من" كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل" ولكنه أخفق-حسب رأي الدكتور أحمد كمال زكي- في توظيفه لها في هذا المقطع:[2]

عاشق أتدحْرج في عتمات الجحيم

حجراً، غير أنّي أضيءُ

إنّ لي موعداً مع الكاهنات

---

* أورفيوس : أسطورة إغريقية معناها الشافي بالنور، وهو ابن أبولو (إله الموسيقى)، عرف بعزفه الحزين على القيتار لفقدانه حبيبته وأورفيوس تنقسم إلى Aour وتعني النور بالفنيقية و Raphal وتعني الشفاء.

[1] عبد المعطي الشعراوي، أساطير إغريقية، ج01، أساطير البشر، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، د ط، 1982، ص212.

[2] أدونيس، أغاني مهيار الدمشقي، ص 59.

(.....)

كلماتي رياح تهز الحياة

وغنائي شرارْ..

رغم أنّ أدونيس من الذين تطلّعُوا على الأسطورة العالميّة «إلاّ أنّه في هذا الموضع حطّم لغتها الساذجة، كما حطم الوزن العروضي، فانتهى به الأمر إلى الإخفاق المؤكد»[1].

في حين أنّه مع أسطورة "ايكار" ،لجأ إلى أسلوب آخر في التوظيف، وهو إفراغ الأسطورة من معناها وشحنها بمعنى آخر يريده مثلما يقول[2] :

مَرَّ هنا إيكار

خيّم تحت الورق الشاحب شمَّ النّارْ

في غرفِ الخُضْرةِ في البراعم الوديعهْ

(.....)

ثم انتشى وطارْ

لم يحترق- لمَاَ يَعُدْ إيكَارْ.

إنّ هذه الأسطورة تروي أنّ "إيكار" لما كان في سجنه مع والده فكّر في خطّة للهرب، فصنع جناحين من شمع وطار رفقه أبيه، ولكنه سقط في النهاية، لأنّه لم يعمل بنصيحة والده (عدم الاقتراب من الشمس أو الهبوط نحو البحر)، وتهوّر واغترّ بنفسه وكان جزاؤه الموت، لكن أدونيس في هذا المقطع، يُظهر عكس ذلك؛ أنّ إيكار لم يمت، ومازال الأمل باقيا في عودته وهذا دليل الروح الصامدة، التي يتميز بها الشاعر وبرهان بقاء الأمل أمام نائبات الدهر.

---

[1] مجلة الفيصل، العدد 59، السنة الخامسة، مارس 1982، قضية اللغة في الشعر، أحمد كمال زكي، ص22.

[2] أدونيس، كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل، ص22.

خاتمة:

بعد الخوض في هذا الموضوع المتشعب، يمكننا الخروج ببعض النتائج، ومنها:

- أنّ الأسطورة على اختلاف أنواعها ومصادرها، منبع مهّم لأيّ شاعر، لأنّها مركز إمداد، يستمد منه الشاعر صوره وأخيلته ومصادرها متعددة: تاريخية، دينية، خرافية، .....
- اطلاع أدونيس المبكر على الأساطير العالمية، جعله يستثمرها في مختلف الأوجه ويوظّفها في الحاتين: إما دون تغيير أو يفرغها من وعائها ويكسبها وعاء آخر غير الذي وضعت له.
- أنّ ديوان كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل، رغم صبغته الصوفية إلاّ أنّه لم يستغن على الأسطورة التي صنعت لغته الشعرية.
- وظّف أدونيس الأسطورة في هذا الديوان أيّما توظيف، واعتمد على مخزون ثقافي عالمي واسع، فكان نجاحه في التوظيف مبنيا على عقد الاقتران بين الواقع والأسطورة، ومن خلال هذا الإسقاط التاريخي تشكلت وظائفها في شعره، فشعريّة الأسطورة إذن في إفراغها من معناها الأصلي، وشحنها بالمعاني والدلالات الجديدة في كل مرة.